

إقتراح لاروش للدفاع الاستراتيجي يعود مجددا على الطاولة إختراق جديد في العلاقات الامريكية الروسية



بقلم : هيلغا لاروش

حصل تطور ايجابي في لقاء قمة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بالرئيس الأمريكي جورج بو. وهو اللقاء الذي تم في أجواء غير رسمية منفتحة في البيت الصيفي لعائلة بوش في كنيانكبورت (Kennebunkport) في ولاية ماين. بحضور الرئيس السابق جورج بوش الاب. فقد قدم الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مقترحاً للرئيس الحالي. وهو مقترح من شأنه أن يغير العلاقة الروسية الامريكية بعيدا عن التصعيدات الحالية ورجوعا إلى طاولة التعاون الاستراتيجي. في المؤتمر الصحفي المشترك قدم بوتين مقترحة الذي قدمه سابقا في قمة الثمانية في هايليجندام (Heiligendamm) لإستعمال محطة الرادار الحالية في اذربيجان كنظام ثنائي للدفاع الصاروخي بدلا من النظام المخطط لوضعه في بولندا و جمهورية التشيك من جانب الولايات المتحدة. وكبادرة جديدة إقترح بوتين أيضا تحديث محطة الرادار الاذربيجانية، بالإضافة إلى محطة رادار في جنوب روسيا، وبناء مركز لتبادل المعلومات في بروكسل وموسكو، ووضع عملية التعاون تحت تصرف قيادة مشتركة لمجلس (ال- ناتو-روسيا) (the NATO-Russia Council).

مسؤولون روس آخرون على الفرصة التاريخية المتضمنة في هذا المقترح، ولكنه يتطلب جوابا قطعيا.

تغير دراماتيكي إيجابي

في الحقيقة، إذا وافقت الإدارة الامريكية علي مقترح بوتين، فسوف يحدث هذا تغييرا دراماتيكي في العلاقات الإستراتيجية. وقد أكد لاروش مرارا علي أن الخروج من الأزمات الموجودة التي يجد العالم نفسه فيها يعتمد علي نوع جديد من التعاون بين القوى العظمى مثل الولايات المتحدة و روسيا والصين والهند. تعاون كهذا يمثل ضرورة ملحة لإنهاء إنفجار أزمة مالية عالمية كما انه سينهي الصراعات العسكرية التوسعية. بوتين بشكل قطعي أخذ الخطوة الأولى نحو تعاون نوعي كهذا، ومن الملح أن تكون هناك مبادرة إيجابية من قبل الرئيس بوش علي هذا المقترح: انها فرصة إستراتيجية يجب عدم تضييعها إذا اردنا أن نعطي العالم فرصة للتغير. حتي وان لم يرد بوش بالموافقة بشكل مباشر علي المقترح، فان القمة عُقدت في جو بناء وذلك يرجع إلى غياب نائب الرئيس ديك تشيني الذي يواجه حملة عنيفة تطالب باستقالته منذ المؤتمر التاريخي الذي عقده ليندون لاروش على الانترنت بتاريخ ٢١ يونيو. ووفقا لمصادر حضرت ذلك اللقاء، فإن نقاشات بناءة بين بوش الأب وبوتن تم تداولها حول النهضة الاقتصادية الملحوظة في روسيا في الآونة الاخيرة، وكذلك التطور في جانب الصناعات الصغيرة والمتوسطة في روسيا . مسؤولون بارزون في الحزب الجمهوري علقوا لاحقا علي أن هذا يوضح اكثر لماذا يجب غياب تشيني، فحضوره سيجعل مناقشة كهذه مستحيلة الحصول.

خطاب الرئيس السابق بل كلنتون قبل ايام من لقاء كنيانكبورت في الذكرى الرابعة لإجتماع منظمة يالطا الاستراتيجية الأوروبية (Yalta YES Organization) كان مؤشرا هاما لتغيير إستراتيجي، وقد حضر هذا الاجتماع سياسيون على مستوى رفيع من اوربا الغربية واورانيا وروسيا وأيضا المستشار الألماني الأسبق جيرهارد

أكد السياسي الأمريكي ليندون لاروش علي الأهمية القصوى التي يمثلها: فبالرغم من عدم وجود ضمانات، إلا أن النتيجة قد تكون مشجعة، إذا توحدت صفوف المسؤولين في كلا الحزبين الجمهوري والديموقراطي للإستجابة لهذا المقترح بالطريقة السليمة. وقد أكد بوتين في حديثه في المؤتمر الصحفي المشترك علي أهمية المقترح للمدى البعيد:«فيما يخص المستقبل، كما ذكرت، فاننا نتحدث عن كيفية الرقي بالعلاقات إلي مستوى متقدم كليا وسيشمل ذلك حوارا خصوصا، ويمكننا القول، حوارات حساسة في كل المواضيع المتعلقة بالأمن الدولي، وبما في ذلك طبعا موضوع الدفاع الصاروخي... تدريجيا علاقاتنا ستتطور إلي مستوى الشراكة الاستراتيجية الحقيقية. وهذا يعني رفع مستوى العلاقات السياسية المتبادلة والتي ستؤدي بالطبع إلي رفع مستوى التعاون الإقتصادي بشكل عام. أخيرا لقد تم توزيع بطاقات اللعبة على الطاولة واطمني ان نشارك في اللعبة نفسها.» وكما عودتنا وسائل الإعلام الغربية فأنها لم تذكر الأهمية التاريخية لمقترح بوتين و قامت بتشويه جواب نائب رئيس الوزراء الروسي سيرجي إيفانوف عن أسئلة الصحفيين في طاشقند، حول وضعية العلاقات الامريكية الروسية بالنسبة لمخطط نظام الدفاع الصاروخي في بولندا وجمهورية التشيك، وعلقوا فقط علي أن إيفانوف هدد الغرب. وقد عنوا بذلك أنه أقر أن روسيا سوف ترد بتدابير غير تقليدية إذا رُفض عرضها. في كلا الحالتين، فالنتيجة هي ضمان أمن روسيا بنسبة ١٠٠٪.

ولكن مالم تذكر وسائل الإعلام، هي الملاحظة الأكثر أهمية من جانب إيفانوف، وهي أن الاقتراح الروسي يمثل تغييرا جذريا في العلاقات الدولية، والذي سيضع حدا للحديث عن حرب باردة جديدة، قال إيفانوف «إذا قبل إقتراحنا» فإن روسيا لن تحتاج أن تضع أسلحة جديدة في الجانب الاوربي من البلد وهذا يشمل كالينينغراد». وقد أكد

شروود. أكد كلينتون على دعمه مرارا لمبادرة الدفاع الاستراتيجي المقترحة من قبل الرئيس السابق رونالد ريغان في ٢٣ مارس ١٩٨٣، وقد وضح للرئيس يلسن من قبل وبوتن اليوم أن الولايات المتحدة تريد تقاسم هذه التكنولوجيا حالما تصبح مكنة الإستعمال مع روسيا وباقي الدول، لكي يكون هناك دفاع حقيقي، على سبيل المثال، ضد إرهاب نووي. وقد صرح كلنتون علنا وبشدة عن معارضته لتنصيب منظومة دفاع صاروخي تقليدي في بولندا وجمهورية التشيك، والذي تعتبر فعاليته مشكوك بها بدرجة عالية، ويؤدي فقط لخلق صراع غير ضروري مع روسيا.

لمح كلينتون إلى مبادرة الدفاع الاستراتيجي (SDI) وما ستؤدي إليه من تغيير إستراتيجي في العلاقات بين الشرق والغرب وكما هو معروف، لم يكرر فقط ريغان عرضه مرارا على التعاون في مجال تطوير أسلحة الدفاع الاشعاعية، والتي ستجعل الاسلحة النووية غير فعالة، ولكن الولايات المتحدة حينها كانت ستساعد الاتحاد السوفيتي على تطبيق هذه التكنولوجيا الحديثة لإغراض مدنية. وكما هو معروف فإن ليندون لاروش هو صاحب فكرة الدفاع الاستراتيجي (SDI)، وقد أجرى خلال أكثر من سنة محادثات سرية مع مسؤولين روس وقد قام بتمثيل إدارة ريغان، وذلك قبل إعلان ريغان عن تبني سياسة الدفاع الاستراتيجي كسياسة للولايات المتحدة. لذلك، فقد كان ولا يزال هناك قسم من الحزب الجمهوري لديهم موقف إيجابي من التعاون الاستراتيجي مع روسيا.

وكما أبلغت مصادر روسية مجلة إكزكتيف إنتلجنس ريفيو، فإن دعوة الرئيس بوتن للقاء كينيديانكورت كانت قد وجهت في ٢٥ أبريل، حينما شارك الرئيس السابقان بوش الاب وبيل كلينتون في جنازة بوريس يلسن في موسكو، وفي ذلك السياق أجريت محادثات مكثفة مع بوتن. في ذلك الوقت، جرى حوار بين ليندون لاروش مع علماء روس بارزون حول إمكانية بناء نفق مضيق بيرنغ (Bering Strait Tunnel) كاستراتيجية لتفادي الحرب. المؤتمر الذي تناول هذا المشروع الضخم، الذي يتضمن بناء نفق بطول ١٠٠ كم تحت البحر و ٦,٠٠٠ كم من سكك الحديد لتربط الاسكا وسيبيريا والذي عقد في ٢٤ أبريل وتزامن مع نقاشات مكثفة اجراها بوتن مع مستشاريه. بعد ايام قليلة، في ٢٧ ابريل دعا بوتن إلى تأسيس « ورشة عمل إستراتيجية» جديدة تحت عنوان: «الولايات المتحدة وروسيا، نظرة نحو المستقبل» والتي اشتملت بين أعضائها على وزير الخارجية الأمريكي الاسبق هنري كسنجر و رئيس الوزراء الروسي الاسبق يفجينى برماكوف (Yevgeni Primakov).

معركة سياسية كبرى لهذا يمكننا أن نستنتج أن معركة سياسية كبرى تدور رحاها هذه الأيام في كلا الحزبين حول قضية كيفية الاستجابة لاقتراح بوتن. في ذلك الوقت، وبعد صدور مبادرة ريغان عام ١٩٨٣، نجح مناهضو مبادرة الدفاع الاستراتيجي أخيرا بعد عدة شهور. وبطبيعة الحال تم رفض المقترح من الجانب الروسي أيضا، وكان السوفيت، رسميا، قد قالوا للاروش بأن مبادرة الدفاع الاستراتيجي ستجلب للغرب منافع أكبر مما ستجلبه للاتحاد السوفيتي. في الواقع لم يكن لجناح اوجاركوف رغبة في تدمير الكتلتين - أي الناتو وحلف وارسو - وهو التدمير الذي كان سينتج من تطبيق مبادرة الدفاع الاستراتيجي. بل كانت لديهم خطط هجومية لم يتم الكشف عنها إلا بعد انهيار ألمانيا الشرقية. في ذلك الوقت أصدر لاروش توقعا بأن الاتحاد السوفيتي

سينهار اقتصاديا خلال خمسة أعوام إذا تمسك بفكرة إعادة التسليح الاستراتيجي. لكن مرت ستة أعوام بدل خمسة. حتى انهار الاتحاد السوفيتي. لكن لاروش كان محقا من ناحية المبدأ.

لكن إذا طرح الرئيس بوتن اليوم على الولايات المتحدة فكرة تعاون استراتيجي في روح مبادرة الدفاع الاستراتيجي، فإنه ستكون هناك فرصة إيجابية سانحة أمام العالم كله. لكن بوتن شدد في السنين الأخيرة وكررها في هذا العام على أنه يريد علاقة روسية أمريكية على أساس ميراث الرئيس السابق فرانكلن ديلانو روزفيلت. وأنه لا يريد فقط سياسة مشابهة لسياسة «الصفقة الجديدة» (New Deal) لروسيا. بل وايضا أن العالم بأسره بحاجة لصفقة جديدة. إن مناقشة هذا الأمر هي قضية عاجلة. خاصة في وجه العاصفة المتجهة نحو النظام المالي العالمي. إن وسائل الاعلام الاقتصادية التي هي قلقه من «الدوافع النفسية في الأسواق» قد ارتدت مئة وثمانين درجة هذه الأيام وبدأت تصدر تحذيرات من وجود أزمة نظامية. والتي يمكن أن تندلع بسبب انهيار بضعة صناديق تحوط فقط.

إن مفهوم ليندون لاروش الاستراتيجي. القائل بأنه فقط بإمكان تشكيلة مكونة من الولايات المتحدة وروسيا والصين والهند متحدة من أجل تقرير وتحديد نظام مالي عالمي جديد. أي نظام بريتون وودز جديد على منهاج فرانكلن روزفيلت. أن نجد مخرجا من هذه الأزمة. قد وجد صدى واسعا ليس في روسيا فحسب بل وأيضا في الولايات المتحدة بين عدد من الجماع السياسية المهمة. وبرز في أم أخرى في العالم اهتمام كبير في أوساط على أعلى المستويات تجاه عملية الحوار هذه بين روسيا والولايات المتحدة.

فعلى العكس تماما من أولئك المتعلقين بنظرية أن لا بديل عن العولة أو أولئك القائلين بأن علينا الانتظار إلى أن تقوم «الأزمة المالية الأمريكية» بكسر قوة الولايات المتحدة. على العكس من ذلك من الممكن تماما أن يعيد النظام العالمي جميع نفسه حول مفهوم الأمم الأربعة الذي يدعو إليه لاروش. فإذا اتفقت هذه الأمم الأربعة على تأسيس نظام مالي عالمي جديد وصفقة جديدة. فلن يكون هناك بالكاد بلد في العالم لن يكون سعيدا بالانضمام إلى هذه الديناميكية الجديدة.

هذا هو الواقع. لأنه في تراث فرانكلن روزفيلت يكمن الوعد الذي كان قد قطعته لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، والذي للأسف لم يستطع أن يحققه بسبب موته المبكر: وذلك الوعد هو أن عصر الاستعمار لا بد أن ينتهي. ووعد روزفيلت هذا بدوره كان مبنيا على سياسة الرئيس جون كوينسي أدامز وفكرته أن النظام العالمي ينبغي أن يؤسس على فكرة مجتمع مبادئ بين أم ووطنية ذات سيادة كاملة تربطها ببعضها البعض أهداف مشتركة لكل البشرية.

إذا تحققت هذه الرؤية - خاصة وأن الرئيس بوتن قد خطى خطوة جبارة نحوها - ففي تلك الحالة ستكون أمام ألمانيا على سبيل المثال فرصة متاحة لتتحرر من القيود القاتلة المتمثلة بمعاهدة ماستريخت والسيطرة مافوق الوطنية من قبل الاتحاد الاوربي عليها. وستتمكن بالمشاركة مع بقية «الأمم الاوربية» كما كان ديجول يسميها من المساهمة في نظام عالمي عادل جديد.

إن عرض بوتن يفتح الباب أمام فرصة تغيير استراتيجي في هذا الاتجاه. لكن الفرصة يجب أن تستغل بسرعة قبل أن تفوت.